اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا وقوله ينزل الملائكة بالروح من امره على من
يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقوله ولقد
آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وقوله انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون وقوله وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون
وقوله هدى للمتقين وقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله الى غير ذلك من الآيات التي تتضمن تعظيم شأن القرآن
فمنها ما يتكرر في السور في مواضع منها ومنها ما ينفرد فيها وذلك
مما يدعوهم الى المباراة ويحضهم على المعارضة وان لم يكن متحديا
اليه الا ترى انهم قد كان ينافر شعراؤهم بعضهم بعضا ولهم في
ذلك مواقف معروفة واخبار مشهورة وايام منقولة وكانوا
يتنافسون على الفصاحة والخطابة والذلاقة ويتبجحون بذلك
ويتفاخرون بينهم فلن يجوز والحال هذه ان يتغافلوا عن معارضته
لو كانوا قادرين عليها تحداهم او لم يتحداهم اليها ولو كان هذا
القبيل مما يقدر عليه البشر لوجب في ذلك امر آخر وهو انه لو كان
مقدورا للعباد لكان قد اتفق الى وقت مبعثه من هذا القبيل *
ما كان يمكنهم ان يعارضوه به وكانوا لا يفتقرون الى تكلف وضعه
وتعمل نظمه في الحال فلما لم نرهم احتجوا عليه بكلام سابق وخطبة
متقدمة ورسالة سالفة ونظم بديع ولا عارضوه به فقالوا هذا
افصح مما جئت به واغرب منه او هو مثله علم انه لم يكن الى ذلك
سبيل وانه لم يوجد له نظير ولو كان وجد له مثل لكان ينقل الينا
ولعرفناه كما نقل الينا اشعار اهل الجاهلية وكلام الفصحاء والحكماء
من العرب وادي الينا كلام الكهان واهل الرجز والسجع والقصيد
وغير ذلك من انواع بلاغاتهم وصنوف فصاحاتهم فان قيل الذي
بني عليه الامر في تثبيت معجزة القرآن انه وقع التحدي الى الاتيان
بمثله وانهم عجزوا عنه بعد التحدي اليه فاذا نظر الناظر وعرف
وجه النقل المتواتر في هذا الباب وجب له العلم بانهم كانوا عاجزين
عنه وما ذكرتم يوجب سقوط تأثير التحدي وان ما اتى به قد عرف

العجز

العجز عنه بكل حال قيل انما احتيج الى التحدي لاقامة الحجة واظهار
وجه البرهان لان المعجزة اذا ظهرت فانما تكون حجة بان يدعيها من
ظهرت عليه ولا تظهر على مدع لها الا وهي معلومة عند الله فاذا ١
كان يظهر وجه الاعجاز فيها للكافة بالتحدي وجب فيها التحدي
لانه تزول بذلك الشبهة عن الكل وينكشف للجميع ان العجز واقع
عن المعارضة والا فان مقتضى ما قدمناه من الفصل ان من كان يعرف
وجوه الخطاب ويتقن مصارف الكلام وكان كاملا في فصاحته
جامعا للمعرفة بوجوه الصناعة لو انه احتج عليه بالقرآن وقيل له
ان الدلالة على النبوة والآية على الرسالة ما اتلوه عليك منه لكان ذلك
بلاغا في ايجاب الحجة وتاما في الزامه فرض المصير اليه ومما يؤكد هذا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا الآحاد الى الاسلام محتجا *
عليهم بالقرآن لانا نعلم انه لم يكن منهم تصديقه تقليدا ونعلم ان
السابقين الاولين الى الاسلام لم يقلدوه وانما دخلوا على بصيرة
ولم نعلمه قال لهم ارجعوا الى جميع الفصحاء فان عجزوا عن الاتيان
بمثله فقد ثبتت حجتي بل لما رآهم يعلمون اعجازه الزمهم حكمه فقبلوه
وتابعوا الحق وبادروا اليه مستسلمين ولم يشكوا في صدقه ولم
يرتابوا في وجه دلالته فمن كانت بصيرته اقوى ومعرفته ابلغ
كان الى القبول منه اسبق ومن اشتبه عليه وجه الاعجاز واشتبه
عليه بعض شروط المعجزات وادلة النبوات كان ابطأ الى القبول حتى
تكاملت اسبابه واجتمعت له بصيرته وترادفت عليه مواده وهذا
فصل يجب ان يتمم القول فيه من بعد فليس هذا بموضع له ويبين
ما قلناه ان هذه الآية علم يلزم الكل قبوله والانقياد له وقد علمنا
تفاوت الناس في ادراكه ومعرفة وجه دلالته لان الاعجمي لا يعلم انه
معجز الا بان يعلم عجز العرب عنه وهو يحتاج في معرفة ذلك الى
امور لا يحتاج اليها من كان من اهل صنعة الفصاحة فاذا عرف عجز
اهل الصنعة حل محلهم وجرى مجراهم في توجه الحجة عليه وكذلك
لا يعرف المتوسط من اهل اللسان من هذا الشأن ما يعرفه العالي
في هذه الصنعة فربما حل في ذلك محل الاعجمي في ان لا يتوجه عليه الحجة
حتى يعرف عجز المتناهي في الصنعة عنه وكذلك لا يعرف المتناهي

انهاتين سمع ٧

Copyright © King Saud University